

الحلقة الثانية
قصص البنية

القصص الذي

الرَّجَة

إِلَى الْجَسْرِ

عبد الحميد جودة الحساد

١١

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

﴿ وَإِذْ كُرِّرَ فِي الْكِتَابِ مَرِيمٌ إِذْ أَنْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا
مَكَانًا شَرِقًا . فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ،
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا ، فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَ
إِنِّي أَغُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ : إِنَّمَا
أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لَا هُبَّ لِكَ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَ :
إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسِسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغَيَا .
قَالَ : كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنَ ، وَلِنَجْعَلَهُ
آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَا ، وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ .

(قرآن كريم)

اجتمع الوليد بن المغيرة ، ونفر من قريش ،
وراحوا يتحذّرون عن محمد ؛ إن الناس سيقدّمون
من البلاد للحجّ عما قليل ، وسيعرض عليهم
محمد دينه .

قال الوليد :
— إن وفود العرب ستقدّم عليكم في
الموسم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم ، فاجتمعوا فيه
رأيا واحدا ، ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضا .

قالوا :

— يا أبا عبد شمس ، فقل ماذا نقول .

فقال لهم:

— بل أنتم فقولوا وأنا أسمع .

نقول کاہن۔

فقال الوليد :

— ما هو بـكـاهـن ، فـمـا هو بـسـجـعـ الـكـهـان .

نقول مختون .

— هـ هو بمحنون ، ولقد رأينا الجنون وعَرَفَناه .

نقولُ شاعرٌ .

فقال الوليد :

— ما هو بـشـاعـر ، فـقـد عـرـفـا الشـعـر ، فـمـا هـو
بـالـشـعـر .

— فنقول ساحر .

— ها هو بساحر ، قد رأينا السحّار وسحرهم .

— فماذا تقول يا أبا عبد شمس ؟

— والله إن لقوله لحلاوة ، فما أنتم فائلون من
هذا شيئاً إلا عرفت أنه باطل .

راحَتْ كُلُّ قَبْيلَةٍ فِي قُرْيَشٍ تُعَذَّبُ مِنْ أَسْلَمَ
 فِيهَا ، وَاشْتَدَّ اضْطَهَادُ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى إِنَّ عُثْمَانَ
 بْنَ عَفَانَ ، وَزَوْجَتِهِ رَقِيَّةَ بَنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَالزُّبَيرَ
 بْنَ الْعَوَامَ ، فَكَرُوا فِي الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ ، فِرَارًا
 بِدِينِهِمْ ؛ فَلَمَّا عَرَضُوا الْأَمْرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ،
 قَالَ لَهُمْ :

— لو خرجمتم إلى أرض الحبشة ، فإنّ بها ملّاكاً
لا يُظلمُ عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى
 يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه .

وخرج المهاجرون في سكون الليل على حين
غفلة من قريش ، وذهبوا إلى البحر ، وركبوا
مركباً ذهب بهم إلى الحبشة ، وعلمت قريش
بخروج المسلمين فغضبت ، وجد المشركون في
إثرهم يطلبونهم ، ولكنهم لم يجدوهم ؛ كانوا قد
ركبوا البحر ، وجلعوا إلى ملك لا يُظلمُ عنده
أحد .

بلغ قريشاً أن المسلمين قد ذهبوا إلى النجاشي ملك الحبشة ، وأنهم يعيشون عنده في أمان ، فرأوا أن يرسلوا إلى النجاشي هدية ، وأن يطلبوا منه أن يعيد هؤلاء الذين خرجو من دينهم ودين آبائهم ، إلى بلادهم ، فجمعوا هدية عظيمة ، وأرسلوا بها عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد . دخل عمرو وعمارة على النجاشي ، فسجدا له ، وقدموا إليه الهدية ، فقبلها ، وأمر أن يجلسا

إِلَى جِوارِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمَا يُحَاذِثُهُمَا ، فَقَالَ
عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَكَانَ قَصِيرًا دَاهِيَةً :
— إِنَّ نَاسًا مِنْ أَرْضِنَا رَغَبُوا عَنْ دِينِنَا ، وَهُمْ فِي
أَرْضِكَ .

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ :

— فِي أَرْضِيِّ ؟

فَقَالَ عَمْرُو :

— نَعَمْ .

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ :

— وَمَاذَا تُرِيدُونَ مِنْهُمْ ؟

فَقَالَ عَمْرُو :

— ادْفَعُهُمْ إِلَيْنَا .

— لَا ، حَتَّى أَسْعَ كَلَامَهُمْ .

وأرسل إلى المسلمين فجاءوا ، فقال لهم :

- ما يقول هؤلاء ؟

فقال لهم المسلمون :

- هؤلاء قوم يعبدون الأوثان ، وإن الله بعث إلينا رسولا ، فآمنا به وصدقناه .

فالتفت النجاشي إلى عمرو ، وقال :

- أعيدهم لكم ؟

قال عمرو : « لا » .

فقال النجاشي :

- فلكم عليهم دين ؟

قال عمرو : « لا » .

فأمر النجاشي المسلمين أن ينصرفوا بسلام ،

وخرج عمرو وعمارة من عنده ، وهما مطريقان

يفكرا في ما يفعلان .

ضائق عمرًا لا يجح في رد المسلمين إلى
مكة، فراح يفكّر، حتى اهتدى إلى فكرة،
فدخل على النجاشي، وأسرّ له في أذنه كلاماً،
فأرسل النجاشي يطلب المسلمين. فلما جاءوا،
وهموا بالدخول عليه، قال جعفر بن أبي طالب
 لهم :

— لا يتكلّم مكم أحد، أنا خطيبكم اليوم.
ودخلوا على النجاشي، وهو جالس في

مجلسه ، وعمرٌ و بن العاص عن يمينه ، وعمرٌ و غماره
عن يساره ، والقسيسون جلوسٌ عنده ، فسلموا
عليه ، ولم يسجّدوا له ، فقال له عمرٌ و غماره :

— إنهم لا يسجدون لك .

فصاح فيهم القسيسون والرهبان :

— اسجدوا للملك .

قال جعفر :

— لا نسجد إلا لله عز وجل .

ولما وصل جعفر إلى البجاشي ، قال له .

— ما منعك أن تسجد ؟

قال جعفر في ثبات :

- لا نسجد إلا لله .

فقال له النجاشي :

- وما ذاك ؟ .

فقال جعفر :

- إن الله بعث فينا رسولا ، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، ونقيم الصلاة ، نؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهاي عن المنكر .

فقال عمرو بن العاص :

- أصلح الله الملك ، إنهم يخالفونك في عيسى ابن هريم .

فقال النجاشي لجعفر :

- ما يقول صاحبكم في ابن هريم ؟

قال جعفر :

— يقول فيه قول الله : هو رُوحُ الله وَكَلْمَتُهُ ،
أَخْرَجَهُ مِنَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَقْرَبْهَا بَشَرٌ .
فَتَنَاهَى النَّجَاشِيُّ عَوْدًا مِنَ الْأَرْضِ فَرَفَعَهُ ، ثُمَّ

قال :

— يا مَعْشَرَ الْقِسِّيْسِينَ وَالرَّهَبَانِ ، مَا يَزِيدُ هَؤُلَاءِ
عَلَى مَا نَقُولُ فِي ابْنِ مَرِيمٍ ، وَلَا وَزْنُ هَذِهِ
مَرْحَبًا بِكُمْ وَمَنْ جَتَّمْ مِنْ عَنْتِهِ ، هَلْ مَعْكُ شَيْءٌ
مَا جَاءَ بِهِ ؟ .

فَأَشْرَقَ وَجْهَهُ جَعْفَرٌ وَقَالَ :

— نَعَمْ .

فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ :

— هَلْمَ ، فَاتَّلَعَ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ .

فراح جعفر يقرأ :

﴿... واذكُر فِي الْكِتَابِ مَرِيمَ إِذْ اتَّبَعْتَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا . فَاتَّخَذْتَ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوْحَنَا ، فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَ إِنِّي أَغُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ : إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لَا هُبَّ لِكَ غُلَامًا ذَكِيًّا . قَالَ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَعْسُنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بَغِيًّا . قَالَ : كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هِينِ ، وَلَنْ جُعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنِّي ، وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ .

فقال الجاشي : إنَّ هَذَا الْكَلَامُ لِيَخْرُجُ مِنِّي
الْمِشْكَاةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُوسَى ، انْطَلَقُوا رَاشِدِينَ .

وخرجَ الْمُسْلِمُونَ مُسْرُورِينَ، وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ
الْعَاصِ حَزِينًا، وَزَادَ فِي حُزْنِه أَنَّ النَّجَاشِيَّ أَمْرَ
بِرْدَ الْهَدِيَّةِ الَّتِي أَرْسَلَتْهَا إِلَيْهِ قُرَيْشٌ .
وَعَادَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى مَكَّةَ يَجْرُّ ذِيَّلَ الْحَيَّةِ !